

بسم اللہ الرحمن الرحیم

کلمۃ التحریر

سألنی سائل عن معنی فی قوله تعالى: (الذین آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله).

فقال: لم عطف الاطمئنان على الإیمان؟ أهما مرتبتان متغایرتان؟

قلت: خذ الجواب من قوله تعالى: (وإذا قال إبراهيم رب أرنی كيف تحیی الموتی قال أو لم تؤمن؟ قال بلی، ولكن لیطمئن قلبی).

فإن هذه الآیة تقرر أن الاطمئنان مرتبة بعد الإیمان، وأن الإنسان قد یكون مؤمناً بربه إیماناً لا یعتریه شك، ومع ذلك یتطلب لنفسه منزلة (الاطمئنان).

فإبراهیم (علیه السلام) كان مؤمناً بالله حقّ الإیمان: وتلك قضية مفروغ منها، لأنه نبی کریم أوحى إلیه من ربه، وهو محطم الأصنام، وبانى البيت الحرام، ولكنه تطلع إلى غایة من شأنها أن تنفی عن هذا الإیمان كل العوامل التي لعلها تحاول أو من شأنها أن تحاول الإرجاف علیه قصداً إلى توهینه أو تحطیمه، فإیمان إبراهیم أمر وجودی إيجابی، كان به یعتقد أن له إلهاً قادراً هو ربه الذي عرفه بصفاته وآثاره حیث یقول: (الذي خلقنی فهو یمیتنی، والذي أظمّع أن یغفر لی یطعمنی ویسقین، وإذا مرضت فهو یشفین، والذي یمیتنی ثم یحیین، والذي أظمّع أن یغفر لی خطیئتی يوم الدين) ولكن هذا الإیمان الوجودی الإلهی لا یتغنی عن صیانة له، وعن مدافعة لجميع الواردات التي قد ترد على النفس الإنسانية فی شأنه، فإن القلوب یعتریها التقلب والتحول، فإذا دعا إبراهیم ربه أن یریه ((كيف یحیی الموتی)) فإنه یتطلب لونا من ألوان التحصین والتأمین، حتى ینال الطمأنينة والثقة مما عسی أن یداخله أو یراوده، ولذلك لم یقل: رب هل تحیی، ولكن قال: ((كيف تحیی)) فإن الأولى سؤال عن أصل القضية، وهو أمر مفروغ منه متقرر فی نفس إبراهیم، وفي نفس كل مؤمن، أما الثانية فهي سؤال عن ((کیفیة)) حصول الشیء وذلك فرع الإیمان به، ومن شأنه أن یقر هذا الإیمان ویزید فی ثباته.

